

## السينما والمجتمع

للاستاذ محمد حلمي سليمان

رئيس مرافقة الأشرطة السينمائية

احتلت السينما المكان الأول بين الفنون الجميلة ، وعظمت رسالتها فأصبحت أداة من أدوات التثقيف ولونا من ألوان التهذيب في الشعوب الناحضة ، واعترفت بفضلها سائر الأمم والحكومات ، فأحلتها المكان اللائق بها بين وسائل التعليم والنشر والدعاية ، وأحسبني في غير حاجة إلى شرح ما أدته السينما من دعاية قوية في الحرب الحاضرة ، فكل ما قد رأى ولمس هذا بنفسه ولا أكون مغاليا إذا قلت أن جنود الاستوديو لا يقلون في جهادهم عن جنود الميدان .

إذن ، فقد أصبحت السينما بحق ، المعلم العالمي الأول الذي يتقنا بشتى المعارف وينذى أرواحنا بختلاف الأتغام الشجية التي تنعش النفوس وتصلق الأرواح ، ولكن لن يكون هذا ولن نصل الى ما نبتغيه ، إلا إذا أفرغ الموضوع في معان شريفة ومرام حان يراد بها الإصلاح والتهذيب ، أو الفكاهة المروحة عن النفس المثيرة للعمل .

هذه بعض مرامي السينما ، وهي على هذه الصورة مرآة الأمم تقاس بها حضارة الشعوب وما سمت اليه من النضج الفكري . لذلك كان لزاما علينا أن نحياها من طغيان الأدب الرخيص الذي ينخر سوسة في أوصال الأمم ، فيهدم كيانها ، ويقتل ذوقها الفني ويطرح بها الى الوراء . يجب أن نتكاتف جميعا على محاربة هذا النوع من الكتابة ، ولا أقول 'الأدب' ، لأنه ليس من الأدب في شيء ، يجب أن ننضى عليه وأن نتقف في وجهه منذ اللحظة قبل أن ينال منا وقبل أن تغفل الفرص السواخ .

إنى لا أستطيع أن أقدر ثمن ساعة أجلسها أمام الشاشة البيضاء ، فأشاهد الأمم والشعوب وأرى بلادهم وأستعرض عاداتهم وأسمع شذوهم وغناءهم دون أن أحرك في سبيل ذلك قدما أو أركب بجرا .

قلت إن السينما هي المعلم الأول ، وفي اعتقادي أنها هي التي ستربط الشعوب بعضها ببعض فتدنى الشرقى من الغربى وتمزج الأسود بالأبيض والأسمر بالأصفر ، وقد لا يمر طويل زمن حتى نرى الأمم جميعا وقد اصطبغت بصبغة واحدة ، وتبادلت الأخلاق والعادات وأخذت كل واحدة منها بما عند الأخرى ، ولن يكون الرسل والسفراء في هذا الشأن سوى شرائط القلم .

كان اليابانيون أمة محافظة على قديمها ، متمسكة بتقاليدها وعاداتها وأزيائها ، وكانت ترى في تشبثها بطابعها الخالص شعيرة من شعائرها الدينية المقدسة التي لا تقبل فيها جدلا

أو مناقشة . كانت هكذا حتى جاءها ساحر مسمها بعنساء فانتقلت من حال الى حال ، وتحولت من وضع الى وضع ، وصار أمرها عجبا . لم يكن ذلك الساحر سوى الـسينما .

انتشرت دور السينما في ربوع اليابان فأمها الشعب ورأى الأهليون كيف يحيا الأوروبيون والأمريكيون ، وكيف يتعاملون في الحياة وكيف يعيشون ، وماذا يلبسون وما هي طرائقهم في الجلد والعمل أو اللهو والعبث ، وكيف ينشأ الأطفال ويربى الشباب .

رأوا في كل هذا شيئا يختف عما عندهم ، وأعجبهم بعض ما فيه ، فأخذوا به وسكوا سنته وقلدهم فيما يفعلون . وها في التقليد من عار مادام في المفيد الصالح والقيم المتع بل العار في الجمود والتعلق بالقديم البالي الذي لم يعد يصلح للعصر والبيئة ، وأن الفضل كل الفضل في اختيار الأفضل من الأشياء وانتخاب الأكرم والأسمى من فنون الحياة .

إن لسينما خطرا عظيما وأثرا في الحياة الاجتماعية بعيدا ، وقيمة قدرها الأوروبيون والأمريكيون حق قدرها ، فقد أدركوا بثاقب فكرهم وهيد نظرهم ما سوف تحدثه من انقلاب كبير في حياة الأمم ، لذلك أولوها عنايتهم وشملوها برعايتهم وخدموها بما في طوقهم ، ليجنوا منها خير البركات وأطيب الثمرات وجليل الدروس والعظات .

في عام ١٩٢٨ وضع المؤلف الفرنسي الذائع الصيت "مسيو فرايا" رواية سينمائية عن حياة "جان دارك" ضمنها أعمالها المحيطة ومواقفها الخالدة وشجاعتها الفائقة ووطنيتها المقطعة الظير ، ثم ختم القصة بمصرعها الدامي المحزن .

أيدرى القارئ كيف قدمت اليه المساعدة ، وكيف تمكن من إخراج قصته الخالدة وكيف نظر الى مجهوده ؟

أنه مؤلف ، ولكن لا بد للقصة من مخرج أو مخرجين ، فإذا حدث ؟ ومن أولئك الذين خفوا سراعا الى معاونته ؟

حدث أن انتخب للاشراف على الاخراج لجنة مؤلفة من عطاء فرنسا ورجالها الأفاضل ووضعت تلك اللجنة تحت رئاسة كورنيال باريس "الأسقف ديبوا" .

وليس مفكروا فرنسا ورجال الدين وخدمهم هم الذين ساهموا في اخراج الرواية إذ أن هناك الجيش الفرنسي أيضا ، فقد اشتركت وحدات منه بأمر حكومة باريس في تمثيل الموقعة التي خاضت جان دارك عمارها ، واصطلت بأوارها .

ثم لا بد من أمر آخر ، لتخرج الرواية السينمائية طبق ما ورد في بطون التاريخ وكيف يتم ذلك إلا اذا ظهر الملك شارل السابع ، وإلا اذا أقيمت حفلة تتويجه .

والتتويج كان يتم في الكنيسة . إذن تليذهب الممثلون والمنمات الى كنيسة "ريمس" وليقيم كل فرد بدوره .

وبديهي أن الجيش ورجال الدين ماقدموا تلك المساعدات وماخرجوا على بعض التاليد الدينية التي لها حرمتها ولها قدسيها الا لعلمهم أن للسينا مكانة جديرة بالاعتبار .

وليست قصة إخراج "جان دارك" بالمعنى في التاريخ السينائي وأنى لو شئت أن أروى مبلغ ما تقدمه الحكومات والهيئات المحترمة الى رجال السيني ليتمكنوا من أداء رسالتهم لفضاء في المقام ، غير أنى أشتهى وأنا الغيور على الفن السينائي الراغب في رفعه الى أعلا الدرجات وأسمى المواطن لعلمي بخطره وفوائده أقول أنى أشتهى أن أصور السيني في ثوبها الحقيقي ، وأن أصور جلالها وخطرها .

شاء مستر سنول "المتخرج السينائي الشهير في إنجلترا أن يخرج فلما عن بعض الحوادث الحربية التي انتصر فيها البريطانيون في الأرض الفرنسية في غضون الحرب العظمى ، فوضع رواية "مدافع لويس" ثم تقدم إلى الحكومة الانجليزية يسألها المساعدة ، فأعارته مدافع لويس وهي نفس مدافع لويس التي انتصر الحلفاء بها ، كما سمحت له حكومة باريس أن يمثل فريق من الجيش الفرنسي في نفس الأرض الفرنسية التي أحرز البريطانيون النصر فيها ، وأحسبني في غنية عن القول أن أمثال تلك المساعدات لا تقدم من الحكومات إلى رجال السيني إلا على ضوء أن للسينا رسالة هامة يجب أن تؤديها .

وها نحن نرى الدول العظمى ترحب باشتراك أساطيلها وسلاحها الجوي وجيشها البري في كثير من المشاهد السينائية التي تستدعي هذا الاشتراك . وفوق هذا فأنها لا تلزم الشركات بدفع النفقات .

ولعل فيما ذكرته برهان ساطع وحجة دامغة على فضل السيني ومقامها بين الأمم .

الحجج فريضة على المسلمين من استطاع اليه سبيلا ، كم من الناس كانت تهفو نفوسهم إلى رؤية بيت الله الحرام والطواف "بالكعبة الشريفة" ولكن كانت تقصر بهم السبل وتتقطع الأسباب ، فيقضون العمر في نفوسهم لوعة وحسرة !!

غير أن ريمحا طيبة جاءتهم ببعض ما كانوا يتفنون ، فإذا بالسيني تقدم لهم مناظر الحجج وهم يلبون في عرفات ويسعون بين الصفا والمروة ويسجدون لله حول الكعبة في "بيته الحرام" . لقد وصف الكتاب وأبدع في وصف هذه المشاعر ، ولكن ما كان للرؤية أن تتحقق إلا بفضل السيني ، وما كان لأولى الأمر أن يسمعوا بتصوير هذه الشعائر المقدسة إلا وهم على علم بما لها من خطر وشأن .

ولو أن فنا آخر غير فن السيني حاول اقتحام تلك الأماكن المقدسة أو حتى التطلع إليها من بعيد ، لحيل بينه وبين نفسه التي بين جنبيه .

إذن ، لم تعد صناعة السيني مقصورة على الاستديوهات أو القاعات أو القصور ، بل نفذت الى الأماكن المقدسة والمحاريب الطاهرة حيث الصلاة والتسبيح وحيث الإنشاد والترتيل .

لم يسمع العالم عن مخترع درج نحو الكمال بمثل السرعة التي سبقت بها السينما الزمان ، منذ عشرين سنة كانت السينما في دور الطفولة ، كانت سيلا لهو والتسلية ، وكانت الروايات التي تمثل إما مضحكات أو مجارفات ومغامرات أو غراميات وكانت صامتة .

وفي غضون سنة ١٩٢٦ عرض في مدينة نيويورك فلم "دون جوان" وهو أول فلم ناطق حيث كان الصوت ينبعث إذ ذاك من اسطوانات موسيقية .

وفي شهر يولييه عام ١٩٢٨ ورد في إحدى المجلات الأمريكية خبر منهم لم يصدقه الكثيرون . فقد جاء في المجلة أن في الولايات المتحدة نحو ١٠٠٠ دار للسينما تعد آلات عجبية لتسجيل الصوت ، ومتى فرغت تلك الدور من مهمتها فسيسمع الذين يترددون على دور السينما أصوات الممثلين كما سيرون حركاتهم .

ولم تلبث الأحلام التي لم يصدقها الناس في أمريكا أن أصبحت حقيقة ملموسة يراها ملايين الناس في أنحاء الأرض كافة . تلك هي السينما الناطقة التي تمتع اليوم مشاهدتها .

وما أن انتشرت السينما الناطقة حتى اتجهت الجهود الى إخراج الحوادث التاريخية المهمة والى إخراج القصص والروايات التي وضعها كبار المؤلفين ، فما تركت رواية متمعة لتولستوى ولا لشارلز دكتزولا لشيكسبير إلا وأخرجت على الشاشة البيضاء .

لم تعد السينما لهوا ولعبا ، بل مهندا عالميا كبيرا يجد كل فرد فيه اللون الذي يحبه . والجاناب الذي ينشده ، والبغية التي يحن إليها ، وان لم يكن ذلك كما أقول ، فخذونى بربكم عن سر ذهاب الأوف من الرجال والنساء والأطفال إلى دور السينما في كل ساعة من ساعات النهار وموهن من الليل .

السينما فن ، والسينما ذوق ، ومن حسن الذوق الاعتراف بالجميل ورده ولم أر من يرد الجميل أضاعافا مضاعفة كما ترده السينما ، كل من خدم السينما وأخلص لها في العمل ذاع صيته لا في بلاده فحسب ، بل في سائر أنحاء العالم وفي أما كن لعله كان يجهل وجودها .

إن أسماء المخرجين والممثلين تتناقلها الألسن في كل مكان ويعرفها الصغار والكبار ويخطب ودهم العظماء والدعماء وتتعشقهم الجماهير من رجال ونساء على السواء ، أهنئك رد للجميل أبلغ من هذا الرد ؟

سأتحدث حديثا عن أحد أبطال السينما يوم كان هذا الفن الجميل في مهده ، يوم كان طفل السينما يتحرك غير أنه لا يعرف كيف يحرك لسانه ، وأريد بذلك أن أكشف مرة أخرى عن خطر السينما .

نال رودلف فالنتينو من الشهرة والمجد ما لم ينله ممثل في عصره ، وبلغ حب الرجال له مبلغا عظيما ، أما النساء فكدن يعبدنه عبادة ، إذا جاز هذا التعبير .

وفي يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ ، توفي محبوب الجماهير في أحد مستشفيات نيويورك عنف عملية جراحية ، فكان لعليه رنة حزن ترامت في مشارق الأرض ومغاربها وبكتها النساء

بالدمع المتون لا الشباب لحسب بل العجايز أيضا ، وكانت السيدة التي تظافر بمخضلة من شعره أو سطر من خطه تعد نفسها من أسعد خلق الله وقد أحدث رودلف كل هذا الدوى ولما يبلغ من عمره الثلاثين ، وقد توفي في هذه السن المبكرة .  
 وما رودلف فالتينو إلا مثلا واحدا من عشرات الأمثلة التي نستطيع أن نسوقها فيسر وسهولة .

والآن أنتقل إلى السينما في مصر فليس من المعقول أن نتحدث عن بيوت الجيران ونهني بيتنا .

للسينا في مصر نهضة نستطيع أن نتحدث عنها بفخر نعم أن نهضتنا لم تبدأ مع النهضة العالمية ولم تبلغ بعد شأنها . ولكنها على صغر سنها لم تتأخر كثيرا عن نهضة العالم بل لاحقتها بخطى سريرة ، واعتقد أننا عما قريب سنستطيع الوقوف معها على قدم المساواة .

لقد كنا نحن معشر المصريين إذا ما جلسنا الى الشاشة البيضاء ننظر مبهورين مأخوذين اللب من ضرابه هذا الاختراع المدهش العجيب ، ولعل بعضنا كان يظن أن صناعة السينما ضرب من السحر أو لون من الشعوذة إلا أن الدهش لم يلبث طويلا ، والعجب لم يطل أمده

إن مصر المحجدة التي نشرت الحضارة في العالم ، لا يعجز أبناءها شيء ، وما كان العقل الأوربي أو الأمريكى بأفضل من العقل المصرى أجل لم يكتف المصريون بالنظر الى الشاشة البيضاء ، فراحوا ينشئون تلك الصناعات التي حسب الغربيون أنها ستكون وقفا عليهم .

بدأت صناعة السينما عندنا أو التمثيل السينمائي بعبارة أصح بمحاولات أخفق بعضها ونجح بعضها الآخر وظهور منها شيء ، واخترت أشياء .

وتاريخ صناعة السينما في مصر يرجع الى عهد بعيد قد يعجب منه بعض حضراتكم ، ففي سنة ١٩١٧ تألقت في مدينة الاسكندرية شركة لصناعة الأفلام وعرضها في مصر ، وكان الأستاذ محمد كريم المخرج المعروف يعمل في هذه الشركة . وقد وثقت إلى اخراج فيلمين أحدهما اسمة " الأزهار الميئة ، والآخز شرف البدوى " وقد عرض الفيلمان في أوائل عام ١٩١٨ بسينا شنتكلاير بالاسكندرية .

هذا هو ميلاد صناعة السينما في مصر ، وان كان لا بد ليلاذ من وليد فالتوأمان " الأزهار الميئة وشرف البدوى " هما الطفل الحديد ، وسراه بعد قليل كيف نما وترعرع . وكيف شب عن الطوق ، وكيف اجتاز دور المراهقة . ثم كيف استوى رجلا كاملا قويا يشق طريقه بخطوات الجبارة ، وكل هذا بفضل المصريين ، وذكاء المصريين . وهمة المصريين وأموال المصريين .

وإذا أشرق عام ١٩١٨ نرى أحد الأجانب وقد استعان ببعض ممثلي دار السلام بحى سيدنا الحسين على اخراج أفلام سينمائية .

وأخرج الجماعة فصلا مضحكا أطلقوا عليه اسم "مدام لوريتا" وقد عرض في سينما الكلوب المصرى ، والعلم عربى ولا ريب وصامت لم يتكلم .  
 وفى سنة ١٩٢١-١٩٢٢ اشترك بعضهم فى تمثيل فصل سينمائى مضحك باسم "الخاتم المسحور" وقد عرض فى مدينة الاسكندرية .

وما وافى عام ١٩٢٣ حتى أدرك المعينون بشؤون السينما من المصريين أن طلام السينما قد حلت ، ورموزها قد قرئت ، ففى نفس هذا العام اشترك الأستاذ على الكسار والأستاذ أمين صدقى فى اظهار فلم من فصلين ، رأيتهم كيف أصبح الطفل يدرج بعد أن كان يحب ؛ أظهر الأستاذان فلما من فصلين باسم "الخالة الامريكانية" .

كانت كل هذه محاولات للتمثيل والسينما فى مصر ، أى ظهور ممثلين مصريين فى أفلام سينائية . أما صناعة السينما على الوجه الصحيح ، والفلم المصرى الطويل الذى يقوم على قصة مصرية سلسلة الحوادث ، فهو على ما أعرف فلم "ليلي" وكان عرضه فى سينما متربول عام ١٩٢٧

وفى سنة ١٩٢٨ ، ظهر فلم "غادة الصحراء" للسيدة آسيا ، وقد عرض فى سينما متربول أيضا .

وفى نفس هذا العام رأينا على الشاشة البيضاء رواية "زينب" لمخرجها الأستاذ محمد كريم ؛ وبعد عام واحد أى فى سنة ١٩٢٩ ؛ ظهر فلم "بنت النيل" للسيدة عزيزة أمير ، التى أظهرت أول فلم مصرى طويل ، وكان عرضه فى سينما الكوزمو جراف الامريكاني بالأسكندرية .

وكانت هذه الأفلام صامتة ، ومنذ ذلك الحين لم تعد الأفلام نرساء كما أنها لم تعد محاولات ، بل أصبحت قصصا كاملة ذات شخصيات ناطقة ، كان أول فلم ناطق هو فلم "أولاد الذوات" للأستاذ يوسف وهبى .-

تتابعت بعد ذلك الأفلام المصرية فى فترات تطول أو تقصر حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن ؛ وبلغ الانتاج المصرى مبلغا لم يكن أحد يتوقعه فى هذا العدد القليل من السنين حتى لقد بلغ من اهتمام المصريين بأفلامهم أن انصرفوا شيئا عن الأفلام الأخرى ، وأقبلوا فى شغف إلى مشاهدة الشخصيات التى تمثل حياتهم وتنطق بلغتهم .

بالضرورة ؛ كانت الأفلام المصرية فى بدايتها ، ضعيفة فى موضوعها ، وفى اخراجها وفى فنونها ؛ إذا كانت تنقصنا فى ذلك الوقت عوامل كثيرة .

لم تكن القصة السينائية قد ولدت ؛ حتى الاقتباس لم يكن قد وقف على قدميه ؛ وكان ينقصنا الفنون الذين لهم خبرة ، ودراية بصناعة السينما ودقائقها ، لذلك استحق مجهودنا الفخر لأنه مجهود عظيم إذا قيس بوسائلنا المحدودة .

إذا قيل إن الرجل العصامي هو الذي كون نفسه بنفسه ، فإن صناعة السينما في مصر أحق شيء بهذه التسمية ، فقد كونت نفسها بنفسها . فإذا أحصينا عدد الذين سافروا من عندنا لتعلم هذه الصناعة في الخارج ، وحدناهم قلة لا تناسب وهذا الجهد الكبير الذي تنحه مصر . ويعرض في الأفطار الشرقية جميعها .

لقد أصبح الفلم المصري الآن على خطوات متقاربة من الفلم الأوربي والأمريكي ، والفضل في ذلك راجع إلى أدل هذه المهنة وجنود هذه الأمة ، فهم أول من حل المشعل ودخل حلبة السباق ، وكانت مهمتهم شاقة ، فقد دخلوا السباق متأخرين ، ويطلب منهم أن يتكروا مع السابقين ، وهم باذن الله لواصلون .

فسيروا على بركة الله قدما وأخرجوا لنا من الأفلام ما يمثل مجد مصر ، أخرجوا لنا من المشاهد ما يضع حدا لما يصورنا به بعض ذوى الأغراض ، فإن فعلتم وما إخالكم الاناعلين تكونوا قد أدبتم بلادكم بما تنشرونه من الدعاية القومية والثقافة المصرية ما يجعل الأجانب يؤمنون في يسر بقوة مصر وعصمتها . أسمعهم أصواتكم ، وقولوا لهم أنكم أصل المدينة وأن بلادكم بلاد العلم والعرفان ولا سبيل إلى ذلك إلا بالابتعاد عما فيه المجون الفاضح والخيال السقيم . ونبذ الأدب الرخيص المكشوف .

فإن السينما كما قيل بحق هي السلاح الأقوى ، فاحملوا هذا السلاح المبارك ، وقعدوا به غياهب الجهل وحطموا سياجه البالي الترق .

سيروا على بركة الله واعملوا وتنافسوا وسيسجل التاريخ أسماءكم بحروف من نور في تاريخ مصر الحديث ، وسيقول فيما يقول هؤلاء هم طليعة ميدان السينما الذين وضعوا الأساس وعاونوا على تقويم النهضة المصرية ودعموا بناءها ورفعوا من ذكرها .

محمد حلمي سليمان

أرى طوقان هذا العرب يطني

وأهل الشرق سادتهم نيام

فإن لم يأتنا نوح بفلك

على الإسلام والشرق السلام

شوق